سبيل دعوة الحق
والقائم بأمرها

الدكتور
فوزي عبد العظيم رسلان قمر

[illegible]

[illegible]

تحقيق

[illegible]

تمهيـــــد :

الدعــوة الى الله ــ تعالى ــ رافقت بدء الخليقـــة ، وســوف تصحبها حتى يومها الأخير ، مؤيدة بتأييد الله ــ عز وجل ــ ومحفوظة بحفظة ، لا يضرها من خالفها حتى يأتى أمر الله ، وذلك مصداقا لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه البيهقى : « يحمل هــذا العلم من كل خلف عــدوله ، ينفــون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » ••••

غير ان المتامل أحوال الدعاة ، والقائمين بامر الدعوة إلى الحق ، يرى أصنافا وألوانا على الساحة الاسلامية ، خالفوا بمنهجهم المقيم سبيل الدعوة ، فضلوا الطريق ، وابتعــدوا عن حقيقة دعوة الحق •

فهناك على سبيل المثال : دعاة منفرون يحرمون ولا يذكرون البديل ••••• وهؤلاء يذهبون بانفسهم ويتلمسون للبراء العيب ، ويدعون العلم ، ويتهمون أكابر الفقهاء بالجهل ومشاقة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقــد تبنوا أحكاما معينة فى قضايا صغيرة أو كبيرة ، وخرجوا بهــا على الناس ، فزادوا المسلمين فرقة ، وزادوا الطين بــلة •••• !

وهناك دعاة يغرقون في الفروع دون الأصول •••• ومن الثابت المقرر أن الخلاف الفقهى لا يوهى بين المؤمنين أخوة ، ولا يحــدث وقيعه ! وهؤلاء يجعلون من الحبة قبة ، ومن الخلاف الفرعى أزمة •

والخلاف اذا نشب يكون لأسباب علمية وجيهة ، وهؤلاء تكمن وراء خلافاتهم علل •••• ومن الغريب أن الخلاف لا يقــع فى مزيد من الخــدمات الاجتماعية ، ولا فى مزيد من مظاهر الايثار والفضل ، انه يقــع فى الحرص البالغ على الأمور الخلافية كالتقطع فى مكان وضع اليدين ، أو طريقة وضع الرجلين خلال الصلاة ! وهنـــاك دعاة

يغضوا الله الى خلقه بسوء كلامهم او سوء صنيعهم ، فبدل أن يهدوا صدوا ، وبدل أن يسدوا سلبوا .... !

وقد نبه القرآن الكريم الى خطورة نفر من الأحبار والرهبان ، جعلوا الدين كهانة تفسد بها الفطرة ، وتصطاد بها المنفعه ؛ قال تعالى :

« إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله »(١) .

وهذا النوع من الناس آفة الأديان كلها ، وفيه يقول الشاعر :

وهل أفسد الدين الا الملك — وأحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا — ولم تغل فى البيع أثمانها(٢)

وهناك دعاة يعيشون دور الكهان القدامى ، فيصورون الاسلام دينا دموى المزاج ، شرس المسلك ، يؤخر اللطف ، ويقدم العنف ، ويهتم بقص الأظافر والأشعار أكثر مما يهتم بقص زوائد الأنانية وغمط الناس »(٣) .

ومن المحزن أنك ترى الصورة التى تقدم عالميا لدار الاسلام ، أنها الدار التى ينتهب فيها المال العام ، ويسودها حكم الفرد ، وتهان فيها كرامة المرأة ، بل تضيع حقوقها ....

وأن المصلحين من الدعاة لا جوار لهم الا بحرب التصوير ، والغناء ، والسفور ، والتلفاز ، وأن العودة الى الاسلام كما يطلبها الشباب لا تعنى الا العودة الى الهمجية الأولى ....

---

(١) سورة التوبة من الآية رقم ٣٤ .

(٢) مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية — محمد الغزالى — ص ٩٨ .

(٣) أنظر مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية — محمد الغزالى — ص ٥٢ .

آجـــل !!

ان هناك نهضات مخلصة لكن ينقصها الفقه والتجربة ، ونهضات صادقة لكن يخـونها الرسميون من علمـاء الدين ، أو يتثاقلون في نصرتهـا •

وهناك نفر من الحكام يحبون الاسلام حبا جما ، لكن لا يدرون كيف يحكمونه ، وهنـاك حكام عالنـوا بتأييـدهم للعلمانية ولسياسة المرتد الزكي مصطفى كمال(١) ••••

انه بذلك يوجـد تقصير مكشوف ، كما يوجـد جهل فاضح على الساحة الاسلامية ، والنتيجة أن دعوة الحق لا تحصد الا الشوك من وراء هؤلاء جميعا ، الذين ينطلقون بعقولهم الكليلة يسيئون ولا يحسنون •••• وليس ذلك عجيب ، لكن العجب أن يبقى الخطأ وأن نصر عليه !! والأعجب أن يمضي بعضنا في طريق الانحراف ولا يدري •••• أو لعله يحسب نفسه على صـواب •

اننا اذا في حاجـه الى داعية متمكن يعرف دعوة الحق ، ويعمل لتمكينها وتأصيلها في نفوس الخلق ، ويعرف الوسيلة الصحيحة التي تدركه بمطلوبه حتى لا يهوى في مكان سحيق ، ويحسب أنه من الذين يحسنون صنعا ، وقديما قالوا : « لا ترم سهما يعييك رده » •

وأن يكون كذلك مخلصا في دعوته ، منطلقا من هـذه القاعـدة ، لا يطلب على هـذا العمل جزاءا من أحـد •

وهـذه صفات أصيلة ـ نفسية أخلاقية ـ يجب أن تتوفر في القائم بأمر الدعوة •

وهناك صفات أخرى فنية يجب أن لا تغفـل ، أهمهـا القراءة الكثيرة ، وطلب الاستزادة من العلم • هـذا المطلب كان أمرا من الله

---

(١) المصـدر السابق ص ٥٢ •

ـ عز وجل ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال الله تعالى : **فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما** »(1) ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال » .

والعلم الذى يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، والقرآن الكريم ليس فيه الا آية واحدة تناولت العلم الدينى ، وهى قوله تعالى : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** »(2) .

وما عدا ذلك من الآيات فانها تعنى العلم الشامل لكل المعارف الانسانية ، فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل النهم الى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صله الانسان بالوجود ، ويفتح له آمادا أبعد من الكشوف والادراك ، وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه ، والافادة من ذخائره المكنونة ، ذلك كله ينبغى التطلع له والتضلع فيه ، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه ، وهذا الشمول دلت عليه الآيات والسنن(3) .

« يقول ابن الجوزى ـ من علماء القرن السادس الهجرى ـ ينبغى للعاقل أن ينتهى الى غاية ما يمكنه فلو كان يتصور للآدمى صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض ! ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر فى تحصيلها فى حضيض »(4) !

---

(1) سورة طه الآية رقم ١١٤ .
(2) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢ .
(3) خلق المسلم ـ محمد الغزالى ـ ص ٢١٧ .
(4) مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ـ محمد الغزالى ـ ص ٢١ .

هــذه الصيحة الشماء نضحت من وحى الايمان الحــق ، ومن خصائص التربية الاسلامية فى الشروق المحمدى الأول ، وهو الشروق الذى قاده رجال أصحاب عزمات شــداد وآمال عراض فطــووا فى سياحتهم المشارق والمغارب ٠

ولو رأى ابن الجوزى المسلمين الآن فى عصر الفضاء ينظرون الى غزاة الجوبيلاهة لحمل السوط وجلد به الظهــور ، ولبرأ الاســلام من هــذا الانتماء المخزى(١) ٠

واذا كان العلم بحر لا قرار له ، ولا شطان لــه ، وكلما تعمق طالبه فيه فتحت لــه فيه ابواب جــديدة ، وتبينت لــه معالم كانت خافية ، وتحتاج الى مزيد بحث ، ومزيد تحقيق ؛ من أجل هــذا كان الواجب على حامل العلم ان ينشد الزيادة منه على الدوام ، وأن يستمر فى طلبه ما عاش ؛ فالعلم يحتاج دائما الى تجــديد ونماء(٢) ٠

ومن هنا يظهر بوضوح أمر الله لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **وقــل ربى زدنى علمــا** »(٣) ٠

يقول الشيخ محمد الغزالى : « ان علوم الحياة مساوية لعــلوم الآخرة فى خــدمة الدين وتجلية حقائقه ، غاية ما هنــالك أن عــلوم الطبيعة تحتاج دراسة أطول ٠ أما العلم بالدين فميسور لمن أخلص له أياما معــدودات ، واذا كان التوسع فى فروع الشريعة يحتاج مددا فسيحة ؛ فهــذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة ، أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليــا ٠ وليست دراسة الحقوق أو القضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلا ، ولو بلغ صاحبها مبلغ أبى حنيفة ، وانما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقــدار ما يسخر هــذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار ما لديه من مثوبة »(٤) ٠

(١) المصــدر السابق ــ نفس الصفحة ــ ٠
(٢) الاسلام والعلم ــ د٠ القرضاوى ــ ص ٥٨ ٠
(٣) سورة طــه من الآية رقم ١١٤ ٠
(٤) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ــ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ٠

بهـذه الروح العلمية ، كفل الاسلام للآخـذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، وبواعث للنهوض والارتقـاء ، ودوافع للتبسط في الأرض ، والاختلاط بالأمم ، والاقتباس منهـا ، واستهداف أغراض قصية ، والدأب على بلوغها ، فكان للاسلام ما رمى اليه ، فتألفت من أهله امة لم تبلغ شاوها امة قبلها ولا بعـدها : صحة في العقيدة ينحني العقل والعلم اجلالا لهـا ، وتسليما بها ، وعلوا في الحياة كانوا معها مطمح أنظـار الأمم ، ومدينة فاضلة تنعم فيها الروح والجسد معا ، مصداقا لقوله تعالى : **« من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهـو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعمـلون »[1]** .

واذا كان العلم النافـع من أسس الحضارة الاسـلامية ، فان الاسلام لا يقيم حضارته على العلم المـادى فقط شأن المدنية الحديثة في العالم الغربى ، وانما يوجـه الانسانية الى مصدر آخر للعـلم والمعرفة هـو القلب ، أو هـو الروح والبصيرة ، حضارة الاسـلام حضارة ربانية ، حضارة قائمة على العقيدة والأخلاق ، يقول تعالى : **« إن السمع والبصر والفـؤاد كل اولئـك كان عنـه مسئولا »[2]** . فالسمع والبصر : هما أساس العلم المـادى ، علم التجربة والملاحظة ، اما القلب فانه أساس العلم الالهامى .

ان الله سبحانه وتعالي يوجـه المسلم الى الملاحظـة والتجربة ، ويوجهه أيضا الى الاستشراق للهـداية والنور القلبى عن طريق الخلق الكريم ، والتقوى ، والاخلاص ، وحب الانسانية ، والمعاونة في الخير ، واذا كان الاسلام أوسع نظرة في الجانب العلمى عن الحضارة الحديثة ، وأدق وأشمل ، فانه يختلف معها اختـلافا جـذريا حاسما في مسألة الارادات والنوايا ، وفى أمر الأسباب ، وفى اتجاه الغايات والأهداف .

ان الحضارة الحـديثة تقول : ان العلم لا صلة له بالأخلاق ، أو تقول العلم لا أخلاقى والعلم في نظرها لا شأن له بالخير والشر .

---

(1) سورة النحـل الآية رقم ٩٧ .
(2) سورة الاسراء من الآية رقم ٣٦ .

ولكن الاسلام يجعل أسس العلم متسمة بالخير لـو يجعل غايتـه منغمسة في الخير ، ويجعل من العلم قربى الى الله ، ويجعل منه عبادة لله ، انه سبحانه يجعله باسمه الكريم ، ان العلم فى الجو الاسلامى قراءة باسم الله • ومن هنا كانت حضارة الاسـلام : حضارة رحمـة وهـداية لا حضارة تدمير وتخريب[1] •

وصدق الله حيث يقول :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[2] •

وفى هـذا وغيره ما يدل على أن دعوة الحق دعوة شاملة ، حولت العالم كله ونقلته الى أوضاعه الجـديدة التى لم تكن معلومة ولا معهودة لـه من قبل ، ففى ربع قرن تقريبا كان نبى الانسانية قـد اسـتطاع اعـداد جيش من خلال المعلمين والمجاهدين ، من رهبان الليل ، وفرسان النهار ، من عشاق الخلد ، ومصلحى الأرض ، سبحان من أبدع النبى الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينشىء هـذا الجيل من الأصـحاب البررة المهرة الذين ساحوا فى البـلاد ، واجتاحوا جـذور الفساد ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس •

وفى هذا الدور من الوجود العربى امتزجت خصائص جنس بحقائق رسالة ، وكانت كلمة (عروبة) ترادف كلمة (اسلام) وعرف العرب انهم جسد روحه هـذا الدين ، فهم به يتحركون ، وهـو بهم ينطلق ليفتح السجون ، ويكسر القيود ، ويمـكن المستضعفين أن يتنفسوا الصعداء ، ويخرجوا من ضيق الدنيا الى سعة الاسلام ، ومن عبـادة العباد الى عبادة الله تبارك وتعالى »[3] •

---

(1) الرسـول صلى الله عليه وسلم ـ د• عبـد الحليم محمـود ـ ص ١٠٥ ، ١٠٦ •

(2) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧ •

(3) انظر مشكلات فى طريق الحيـاة الاسلامية ـ محمد الغزالى ـ ص ٥٥ •

لقد حولت دعوة الحق العرب الأميين الى أساتذة راسخين فضلاء ، وأنشأت حركة فكرية ما كان للعالم عهد بها من قبل ، وذلك بأن أقامت العقل الانسانى على الحقائق وحدها ، وقضت على الأوهام والظنون ، واعتمدت على الفكر الزكى ، والحواس اليقظة فى تقرير أنواع المعرفة ، وما كانت البشرية تدرك ذلك لولا القرآن الذى عد الغباء ، وبلادة الحواس ، وقلة الوعى هى طريق النار ، قال تعالى : **« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »**(1) •

كما قام الخلق الاسلامى على نشدان الكمال فى السلوك الانسانى كله •

ولكى يستقيم حال الأمة الاسلامية ، وتكن لها القيادة والصدارة ، كان ولابد من دعاة يعرفون الداء ، ويصفون الدواء ، ولو كلفهم ذلك كل غال وثمين فى دنيا الناس ، عالمين بكتاب الله — تعالى — وبسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — متأسين بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الأطهار •

وما جاء فى هذا البحث من توجيه القرآن الكريم والسنة النبوية من خصائص دعوة الحق ، وصفات القائم بأمرها ، انما هى دعائم وأسس دالة على حقيقة هذه الدعوة وسبيل القائم بأمرها •

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٧٩ •

اولا : سـبيل الدعـوة

١ ـ الاخلاص للحـق دون غيره :

لقـد وجه الله ـ عز وجل ـ نداءه الكريم الى رسوله الخاتم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره ونصحه على أنه صاحب دعوة الى الحق ، وذلك ضمن ما يوجهه اليه من نصائح وتوجيهات يلتزم بها من أجـل انجاح الدعوة ، ووجهه ـ سبحانه ـ بأن لا يشرك معـه أحـدا ، والا يجامل أحـدا فى دعوته ، والا كان غير جاد فى دعوته الى الحق ، قال تعالى :

« فلا تدع مـع الله الها آخر فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقـربين »[1] .

وامارة هـذا الاخلاص أن تكون الدعوة الى الحق وحـده ، وفى سبيله خاصة ، لا يجامل أحـدا من الخلق على حسابه ، ولا يقصد من ورائه شيئا يتطاول به على الغير ، ويعود اليه بالنفع المـادى أو المعنوى فى دنيـاه التى يحياها .

ولقـد طبق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا التوجيه الالهى ، والتزم به حين الخطاب ، فوجـه دعوته الى الأقربين منه ، وطلب منهم أن يكونوا قـدوة طيبة لغيرهم فى تطبيق مبادئها ، وتحقيق أهدافها .

كما سوى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم وبين غيرهم ، ولم يخص أحـدا من أهله وعشيرته بنوع من التقرب والزلفى ، فالكل سواء لا فضل لأحـد على أحـد الا بالتقوى والعمل الصالح . يقول ابن هشام وغيره : « .... ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى : **« وأنـذر عشيرتك الأقربين »[2]** ، بأن جمع من حوله جميع ذويه وأهـل قرابته وعشيرته ، فقال : يا بنى كعب بن لؤى : أنقـذوا أنفسكم من النار ،

---

(١) سورة الشعراء الآيتان رقم ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤ .

يا بنى مرة بن كعب : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة : انقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا »(١) .

وفى الوقت الذى يتطلب فيه الاخلاص الى دعوة الحق عـدم الاشراك بالله ــ عز وجل ــ ، وعـدم مجاملة أحـد على حساب هـذا الحق ، يتطلب ــ كذلك ــ من صاحب الدعوة ان يكون لـين الجانب متواضعا فى علاقته ومعاملته مع من يخاطبهم بهذه الدعوة الحقة(٢) .

كل هـذا يدل على أن الدعـوة الى الحق فـوق الملك والرياسة والامارة ، وفوق الجاة ، بل وفوق كل شىء يقع فى النفس الانسانية من استعلاء وترفع على الخلق ، لقـد آمر الله ــ عز وجل ــ نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كصاحب دعوة ، ومبلغ رسالة ، بالتواضع ولـين الجانب ، وذلك من خلال قوله سبحانه : « **واخفض جناحك لمن اتبعـك من المؤمنين** »(٣) ، فكان صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه ــ سبحانه ــ فعن عياض بن حمار ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحـد على أحـد ولا يبغى أحـد على أحـد »(٤) ، وعن أبى رفاعه تميم ابن أسيد ــ رضى الله عنه ــ قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهـو يخطب ، فقلت : يا رسول الله رجل غريبجاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه ؟ فأقبل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وترك خطبته حتى انتهى الى ، فأتى بكرسى فقعد عليه ، وجعـل يعلمنى مما علمه الله ، ثم أتى خطبته ، فأتم آخرها(٥) .

---

(١) أنظر فقه السيرة ــ د. محمد رمضان البوطى ــ ص ٧٩ ، ٨٠ وقال : متفق عليـه واللفظ لمسلم .
(٢) راجع فى ذلك : النبوة والأنبياء ــ الصابونى ــ ص ٢٩ ــ ٣٦ .
(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٥ .
(٤) رواه مسلم ، أنظر رياض الصالحين ــ النووى ــ جـ ١ ص ٢٤٣ .
(٥) رواه مسلم . أنظر رياض الصالحين ــ النووى جـ ١ ص ٢٤٤ .

ومن الدلائل الكبرى لتواضعه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنه جاءه رجل يحادثه فأخذته رعدة شديدة من هيبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لـه في تواضع شديد لا يعرف في تاريخ المجتمعات الانسانية ، هـون عليك فانى لست بملك ولا جبار ، انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القـديد »(١) ، فاسترد الرجل هـدوءه واستطاع أن يتحـدث بحاجته ، ثم قال يعلمنا التواضع ويطبعنا عليه ، « يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحـد ولو ذميا أو معاهـدا أو مؤمنا ، ولا يفخر احـد على أحـد وكونوا عباد الله اخوانا »(٢) .

وهنا يمكن لنا أن نقول ان شواهد الاخلاص لدعوة الحق ثلاثة :

(أ) عـدم الاشراك بالله ـ تعالى ـ .

(ب) عدم مجاملة أحد على حساب دعوة الحق ، والانحراف بها في تمييز أحـد على احـد .

(جـ) التواضع وعـدم الاستعلاء من جانب الداعى ، تجاه المؤمنين بدعـوة الحـق .

وهناك شاهد آخر يضم الى هـذه الشواهـد الا وهو التجرد عن الحقـد والكراهية تجاه من لا يؤمن بهـذه الدعوة بعـد عرضها عليه ، قال تعالى : « **فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون** »(٣) ، ذلك لأن الأمر بيد الله ـ عز وجل ـ لا بيد أحـد من خلقه ، فالكل تحت أمره « ذلك من آيات الله من يهـد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجـد لـه وليا مرشدا »(٤) .

---

(١) انظر الزرقانى على المواهب جـ ٤ ص ٢٧٦ .
(٢) رواه ابن ماجـه والحاكم .
(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٦ .
(٤) سورة الكهف من الآية رقم ١٧ .

٢ ــ عرض الدعوة بأمانة دون اكراه :

لو استعرضنا القرآن الكريم فى هـذا الجانب نجـد أن لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جانبين :

الجـانب الأول :

أنه صلى الله عليه وسلم داع الى الحق باذن الله ، قال تعالى :

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا »(١) .

والجـانب الثانى :

أنه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة للأمة الخاتمة ، وأن أمره من أمر الله ، قال تعالى :

« لقـد كان لكم فى رسول الله أسـوة حسنة لمن كان يرجـوا الله واليوم الآخر »(٢) وقال سبحانه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضـل ضلالا مبينا »(٣) .

لكن لو تأملنا القرآن الكريم ووقفنا وقفة تأمل خاصة فيما جاء فى قـول الله تعالى :

« إنما أمرت أن أعبد رب هـذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين »(٤) .

نجـد فى الآية الأولى : مضمون دعوة الحق ، وهى دعوة الى عبادة الله ــ عز وجل ــ وحـده ، الذى لـه كل شىء فى الوجود ، فمن

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان رقم ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) سورة الأحزاب من الآية رقم ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٦ .
(٤) سورة النمل الآيتان رقم ٩١ ، ٩٢ .

فعل ذلك وآمن كان من المسلمين ، وليس في ذلك دلالة على أن الاسلام للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده ، بل في هذا اطلاق اتسم به الاسلام ، لتأكيد أنه رسالة الله ـ عز وجل ـ قال تعالى : « **إن الدين عند الله الإسلام** »(١) .

أما الآية الثانية : فهي تشير الى الأسلوب المتبع الذي يجب أن يتجمل به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتصف به تجاه موضوعية الدعوة ، فعلية أن يتلو القرآن على ، الناس ، ويدعوهم بدعاية الاسلام ، فمن اهتدى به وآمن فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل وكفر وأعرض فعليه وزره ، وعاقبته ، ولا شأن للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ به ، فموقفه لا يعدو أن يكون موقف الناصح المرشد المنذر ، « **ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين** »(٢) .

ومعنى ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك كل داعية لهذا الدين الحق لا يجوز له أن يكون مكرها على الدعوة ، ولا ملزما اياها في أية صورة من صور الاكراه والالزام ، وهذا ما يستفاد من قول الله تعالى :

« **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** »(٣) .

ذلك لأنها دعوة حق لا تحتاج الى اكراه ، ومتى كان الداعي قد حددت وظيفته في دعوته عن طريق البشارة لمن يؤمن بالدعوة ، وطريق الانذار لمن يكفر بها ويعارضها ، فليس هناك ما يحمله على الالزام والاكراه لغيره .

وفي هذا دلالة واضحة لتكريم الانسان ، والمحافظة على حرماته ، وعلى ممارسته لحريته الفردية ، ومن أجل هذا كانت دعوة

---

(١) سورة العمران من الاية رقم ١٩ .
(٢) سورة النمل من الآية رقم ٩٢ .
(٣) سورة الاسراء الآيتان رقم ١٠٥ ، ١٠٦ .

الاسلام دعوة للانسان فى كرامته ، وفى مستوى انسانيته الرفيع ، كما أراد الله له حين خلقه ، قال تعالى : **«لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »(١) وقال أيضا : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيل »(٢) .**

٢ ـ دعوة الحق ليست سلعة يكتسب من خلالها :

لقد أكد القرآن الكريم هذا المفهوم وذلك من خلال ذكره لدعوة الأنبياء والرسل السابقين ، فهم لا يلتمسون من الناس أجرا ، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمنا ، انما يطلبون الأجر والثواب من الله ـ عز وجل ـ فكل نبى من الأنبياء كان يعلن ذلك على رءوس الاشهاد ، ويقرر بوضوح وجلاء أن دعوة لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال ، يقول الله ـ تعالى ـ مبينا ذلك :

« كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٣) .

ويقول سبحانه :

« كذبت عاد المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٤) .

(١) سورة التين الآية رقم ٤ .
(٢) سورة الاسراء الآيات رقم ٧٠ ـ ٧٢ .
(٣) سورة الشعراء الآيات رقم ١٠٥ ـ ١٠٩ .
(٤) سورة الشعراء الآيات رقم ١٢٣ ـ ١٢٧ .

ويقــول ســبحانه :

« كذبت ثمود المرسلين ، إذ قال لهم أخــوهم صالح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين »[1] .

ويقــول ســبحانه :

« كذبت قــوم لوط المرسلين ، إذ قال لهم أخــوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »[2] .

ويقــول أيضــا :

« كذب أصحاب الئيكة المرسلين ، اذ قال لهم شعيب الا تتقوى ، انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »[3] .

فنرى من خلال هــذه الآيات ــ السابقة ــ أن نوحا ، وهودا ، وصالحا ، ولوطا ، وشعيبا ــ عليهم السلام ــ طلب كل واحــد من قــومه طلبا واحــدا لم يتغير ، ألا وهــو الايمان بدعوة الحق ، دون انتظار أجر أو ثناء من أحد ، بل الأجر والجزاء من الله ــ عز وجل ــ .

وعلى هــذا النحو ، وجه القرآن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قال الله له : **« أولئك الذين هــدى الله فبهــداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هــو إلا ذكرى للعالمين[4]** . وفى هــذا اشارة واضحة الى الايمان بمنهج الرسل السابقين ، والاقتداء بهم ، وعــدم طلب الأجر من أحــد من المدعــووين ، فهــذا غرض دنيــوى مرفــــوض .

---

(1) سورة الشعراء الآيات رقم ١٤١ ــ ١٤٥ .
(2) سورة الشعراء الآيات رقم ١٦٠ ــ ١٦٤ .
(3) سورة الشعراء الآيات رقم ١٧٦ ــ ١٨٠ .
(4) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .

ولكى يسجل القرآن البعد التام عن الانحراف بدعوة الحق ، يطلب الله ـ عز وجل ـ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلنها صريحة فى قوله سبحانه :

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد »(١) .

بعد هذا العرض يسهل لنا أن نقف على السبب الذى من أجله تكبو دعوة الحق وتتعثر ، هذا السبب يكمن فى الاحتراف بدعوة الحق ، وطلب الأجر عليها ، وجعلها وسيلة لجمع المال والجاه ، وطلب السيادة والرفعة . وما أخس هذا الهدف بالداعى ، اذ من خلاله يفقد الكثير ، ويكفيه ألما وحزنا بعد الناس عنه(٢) .

ومن المؤسف له فى عصرنا أن نجد بعض القارئين لكتاب الله ـ عز وجل ـ فى المآتم والمناسبات ، يستعينون ببعض العلماء فى بيان ما يقرءون من آيات الذكر الحكيم ، ويأخذون على ذلك أجرا ماديا لا يساوى شيئا بجوار فضل الله تعالى .

بذلك هانت الدعوة فى النفوس ، وتحول المشهد من ايمان ناضج ، الى قول واستماع وتكسب ، وهذا لا يعد عيبا فى الدعوة ، بل عيبا فى الداعى الى الحق ، وقديما قالوا : « ما خرج من القلب دخل القلب ، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان » .

٤ ـ دعوة الحق لا تعرف نقض العهود والمواثيق :

لم يلزم الاسلام المسلمين يوما أن يبدؤا أعداءه بالقتال والمحاربة بسبب الدعوة ذاتها ، بل كان الاذن بالقتال حماية لهم دفعا لاعتداء غاشم فيه قد يسود الباطل ، وينهزم الحق ، من أجل ذلك حددت مشروعية القتال فى الاسلام بأمرين :

---

(١) سورة سبأ الآية رقم ٤٧ .
(٢) راجع فى ذلك : المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

الأمر الأول : أن يقع اعتداء من الأعـداء والخصوم على المسلمين بسبب دينهم ورسالتهم .

الأمر الثانى : أن يكون القتال فى سبيل الله مع مراعاة حفظ العهود والمواثيق ، وذلك من أجـل تمكين المسلمين فى الاستمرار بالدعـوة ، وفى ممارسة دينهم ، وتطبيق مبادئه من غير ضعف وخوف ومذلة .

فالقتال فى الاسلام لم يكن هـدفه التوسع والغزو والاستيلاء على حقوق الغير ، وسلب الأموال ، أو من أجل سيطرة أفراد على أفراد ، او دولة على دولة ، بل كانت مشروعيته رد الاعتداء ، وتمكين المؤمنين فى مباشرة حقوقهم المشروعة ، مع مراعاتهم حفظ العهود والمواثيق ، قال تعـالى :

« وأوفوا بعهـد الله إذا عاهـدتم ولا تنقضـوا الإيمان بعـد توكيدها وقـد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعـد قوة انكاثا تتخـذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون امة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحـدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ، ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قـدم بعـد ثبوتها وتذوقوا السوء بمـا صـددتم عن سبيل الله ولكم عـذاب عظيم ، ولا تشتروا بعهـد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون »[1] .

لقـد أراد الله ـــ سبحانه ـــ أن تكون هـذه سمة من سمات الأمة الخاتمة ، راسخة فى كيانها ، بعـد أن أخبر عن أهـل الكتاب أنهم يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، ولقـد التزمت هـذه الأمة بعهدها بالفعل ، وصار الوفاء بالعهود والمواثيق خلقا لهـا تتميز به .

وبيان ذلك أننا نرى الجيل الأول الذى رباه الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان أشـد تمسكا بكتاب الله ـــ عز وجل ـــ وسنة رسوله

---

(١) سورة النحـل الآيات رقم ٩١ ـــ ٩٥ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فحينما عقد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلح الحديبية مع مشركي قريش ، كان من بنود الصلح أنه من جاء محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممن ينتمي لهم رده اليهم ، ومن جاء قريشا من المسلمين لم يردوه .

هنا أحس المسلمون بالغبن الواقع عليهم من هذه الاتفاقية ، وبلغ الضيق بعمر ـ رضي الله عنه ـ مبلغه ، فذهب يسأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو لسنا بالمؤمنين ؟ قال : بلى : قال : أو ليسوا بالكافرين ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطى الدنية من ديننا . ورد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقول الفصل : « أني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري »(١) .

وبينما الاتفاقية غضة ما تزال ، خرج أبو جندل من صفوف المشركين مغللا بالأغلال يريد اللحاق بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين ، فزادت رؤيته على هذه الحال من حزن المسلمين وشعورهم بالغبن ، وتقدم عمر يريد ان يلقى السيف اليه ليقاتل به ، ويفك نفسه من الأسر ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأبى ، ويتمسك بالعهد المبرم بينه وبين المشركين ، وقلوب المسلمين تتقطع أسى وهم يرون هذا المنظر البئس »(٢) .

ولكنه الوفاء بالعهد والمواثيق ، فحق لهم بعد ذلك النصر ، ورفع الغبن ، وفي ذلك يقول الله سبحانه : « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** »(٣) ، هذا فيما يتعلق بالعهود والمواثيق .

---

(١) انظر فقه السيرة ـ د . رمضان البوطي ـ ص ٢٥١ .

(٢) واقعنا المعاصر ـ محمد قطب ـ ص ٨٢ ، وانظر المصدر السابق أيضا ـ نفس الصفحة .

(٣) سورة الفتح الآية رقم ٢٧ .

أما فيما يتعلق بالقتال ان هم خرجوا من ديارهم فى سبيل الله ، فترى القرآن الكريم يطلب من المؤمنين آن يتئدوا ويتبينوا فى وقوفهم على معالم الأمور قبل اتخاذ آى قرار ، ان هم رحلـــوا وخرجوا من ديارهم فى سبيل الله مستهدفين رد الاعتداء ، ودفع الظلم الذى وقع عليهم • يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل فتبينوا ولا تقولوا لمن القى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعمــلون خبيرا »(١) •

ففى هــذه الآية طلب الله من المؤمنين آن لا يتخــذوا من الدعــوة الى الله ـــ وهى غاية شريفة ـــ سبيلا الى الدنيا ومغانمها ، فيبيحــون لأنفسهم آن يحصلوا متاعا ماديا ، وآن يحــولوا بذلك الهــدف الى وسيلة ، الوسيلة هــدف(٢) ، وأعلموا أنكم كنتم على الكفر قبل ذلك وهــداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم ، وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شىء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه(٣) •

ان دعوة الحــق هى دعوة الاسلام ، وهى بذلك تعنى السلام لفظــا ومعنى ، تعنيه ايمانا واعتقادا ، تعنيه سلوكا وتهــذيبا ، تعنيه التزاما بالعهود والمواثيق ، تعنيه عــدم الاضرار بالغير ، تعنيه الأمن والهــدوء والاستقرار •

٥ ـــ الأمانة فى تبليغ دعوة الحق وعرض مبادئها :

أعنى بالأمانة هنا آمانة الداعى فى تبليغ دعوة الحــق ، بحيث يتصف بها حين يبلغ الرسالة التى تعهد بتبليغها ونشرها ، فلا ينقص

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٩٤ .
(٢) آنظر القرآن الكريم يقول ـــ د. محمد البهى ـــ ص ٨٧ .
(٣) المنتخب فى تفسير القــرآن الــكريم ـــ المجلس الأعلى للشئون الاســلامية ـــ ص ١٢٦ •

فيها كلمة أو يزيد ، فضلا عن أن يغض الطرف عن مبدأ فيها لم يبلغه ، أو عن أن يستبدله حتى يصبح نشازا فيها . ولقد بين الله - عز وجل - لنا ما فعله السابقون - من أهل الكتاب - من تغيير وتبديل فقال سبحانه : **« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم يكسبون »**(١) . ونبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى ذلك فقال تعالى : **« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى انى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم »**(٢) . فالذين لا يرجون لقاء الله وهم الذين ذكرهم الله - عز وجل - فى آية أخرى سابقة بقوله :

« إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون »(٣) ، أنهم أناس كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون فى لقائه شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا ، واطمأنت اليها نفوسهم ، قال الحسن : والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية والشرعية(٤) . فاذا ما سئلوا عن علة هذا الاتجاه وعبادتهم من دون الله ما لا يضر ولا ينفع قالوا : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله(٥) » ، وقالوا : « ما نعبد هؤلاء لانهم خالقون ، انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى » ، لكن اذا ما تليت عليهم آيات الله التى تأخذ بأيديهم الى الكمال الانسانى ، وتأمرهم بترك ما هم فيه من شهوات ، أعرضوا

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٧٩ .

(٢) سورة يونس الآية رقم ١٥ .

(٣) سورة يونس الآيتان رقم ٧ ، ٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ح ٢ ص ٤٠٨ .

(٥) سورة يونس من الآية رقم ١٨ ، وانظر فى ذلك تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ح ٢ ص ٤٢٢ ، والمنتخب فى تفسير القرآن الكريم سورة الزمر ص ٦٨٣ .

عنها وقالوا : « ائت بقرآن غير هـذا أو بدله »(١) ، وذلك لكي يوافق هـواهم ، ويبيح لهم ما رضوا به في حياتهم الدنيا .

ولكي يكون الدفاع قـويا ، والحجة بالغة ، كلف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول في مواجهة هـذه المحاولة : « ان اتبـع الا ما يوحى الى »(٢) ، ليؤكد لهم أن « الحـق » لا يتغير ولا يقبـل التبديل بحال ، كما أن الداعي اليه لا يملك رأيا مستقلا (بجواره يضمه اليه) ، بل هـو تكليف ملتزم باتباعه لا تغيير فيه ولا تبديل . بذلك كان الرد قـويا محسوما لا يقبل مساومة ، قال تعالى : « **قـل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع الا ما يوحى إلى انى أخاف إن عصيت ربى عـذاب يوم عظيم** »(٣) .

ومما يمكن ان نقول : أن الحـق واحـد وثابت لا يقبل التجزئة كما لا يقبل التغيير ولا التبديل ، وأن الداعي اليه لا يحق لـه التراخي في الاعـلان عنه .

٦ ـ الاحسان الى ما يسىء لدعـوة الحـق :

يقول الله تعالى :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ان ربك هـو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مـع الذين اتقـوا والذين هم محسنون** »(٤) .

ويقـول سـبحانه :

« **ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** »(٥) .

(١) سورة يونس من الآية رقم ١٥ ، وانظر المنتخب في تفسير القرآن ص ٦٨٢ .
(٢) سورة يونس من الآية رقم ١٥ .
(٣) سورة يونس من الآية رقم ١٥ .
(٤) سورة النحل الآيات رقم ١٢٥ ـ ١٢٨ .
(٥) سورة المؤمنون الآية رقم ٩٦ .

اذا كان واجب الداعى الى الحق أن يدعو بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتى هى احسن ، فانه من الواجب عليه اذا قوبلت دعوته بالاهانة والاساءة والرفض ، ان يسلك مسلك الاحسان لمن أساء أليه ، ولا يقابله بالمثل ، ذلك لأن هـذا هـو الهـدف الذى من خلاله يأتى المراد ، فدفع السيئة بالسيئة فى مقام الدعوة الى الحـق ، ينقص من قيمة الحـق الذى يدعو اليـه ، وينقص كذلك من منزلة القائم بدعوة الحق • اما انه ينقص من قيمة الحق ذاته ، فلأن الحـق يستحيل عليه ان يكون أساءة أو اهانة أو غلظة فى القول ، أو مجادلة بالاسـاءة •

واما أنه ينقص من منزلة الداعى الى الحـق والقائم به ، فانه لورد بالمثل وقابل الغلظة بالغلظة ، والاهانة بالاهانة ، فانه لا يكون بذلك قـدوة طيبة وصالحة لما يدعو اليه من الحق ، ولا يكون مؤهلا لحمل هـذه الدعوة والقيام بها ، وبالتالى لا تلقى دوعته قبـولا من غـيره •

والمتامل فى آيات القرآن الكريم ، يرى أسلوب الاحسان واضحا من خلال القائم بأمر الدعوة ، وذلك لكى يمتثل الداعى ويحرص على سلامة اسلوبه حين مخاطبة غيره بأمر الدعوة ، يقـول الله تعـالى :

« أفغير دين الله يبغون ولـه أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينـا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ويعقـوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لـه مسلمون »(١) •

ويقـول سـبحانه :

« ولا تجادلوا أهـل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقـولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحـد ونحن لـه مسلمون »(٢) •

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ٨٣ ، ٨٤ •
(٢) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٦ •

بهذا المقصد ينبهنا المولى — عز وجل — أن الجدال والمناقشة والمحاورة ، يجب أن لا تتجاوز الدائرة التى تحدد موضوع دعوة الحق ، وهى دائرة التهذيب ودفع الاساءة فى المعارضه باسلوب كريم حسن ، وهذا يعد من مقاصد الدعوة التى جاء من اجلها النبى — صلى الله عليه وسلم — قال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين »(١) •

٧ — وجوب عرض الدعوة على المخالفين ، رغم العلم برفضها مسبقا :

قد يسلك أصحاب الدعوة الى الحق مسلك الابتعاد عن عرضها بين أيد المخالفين والمعارضين خشية المواجهة بالرفض ، لكن الحرص على الحق ، والأمل القوى فى نشره ، وفى قبول النفوس البشرية له ولو على خطوات ومراحل ، يدفع صاحب الدعوة على أن يواجه به المعاندين والمعارضين ، لأن معارضة الانسان للحق قد تضعف ، فيستجيب بعد ذلك له ، بعد أن يراجع مضمون هذه الدعوة بينه وبين نفسه • ذلك لأن طبيعة الانسان ليست طبيعة واحدة ، وانما هى طبيعة مزدوجة ، تقوم على اليأس والأمل ، وعلى الخير والشر ، فهى لا تعرف اليأس وحده ولا الألم وحده •

من أجل ذلك أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بتبديد ظلام اليأس أمام المذنبين واحياء الأمل فى نفوسهم ، يقول تعالى :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون »(٢) •

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩ •

(٢) سورة الزمر الآيات رقم ٥٣ — ٥٥ •

ولا جرم بأن معاودة الدعوة للمنكرين الجاحـــدين مرة أخرى دليل على ان الحـــق لا يضيق ذرعا بمعارضته ، ودليل آخر على أن هدفه الانسانية وتحقيق مستواها فى أكبر عـــدد من الناس بغض النظر عما يعترض طريقه من عقبات .

ولو لم تكن هـــذه المعاودة لدعوة الحق مع المعارضين لكان معناها : أنها تؤثر قـــوما على قـــوم وهـــذا غير مراد ، لأن الاهتمام بالناس جميعا هو الهـــدف والغاية ، الذى قامت من اجله دعوة الحق . وبهذا يمكن أن يقال ان الموقف الذى يجب أن يتخـــذ اذن تجـــاه المعاندين لدعـــوة الحـــق هـــو :

(أ) المواجهة بمضمون الدعوة .

(ب) اعطاؤهم الفرصـــة لمواجهتها .

هـــذا السبيل فى مواجهة المنكرين المعاندين هو سبيل الأنبيـــاء السابقين الذين ارسلوا برسالة الله الى الناس على هـــذه البسيطة . اذ أمر كل الأنبياء والرسل بمعاودة الدعـــوة على المعارضين ، رغم الاستهزاء بهم : « وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون »(١) ، والهـــدف من ذلك أمران :

تسجيل الرفض عليهم للانتقام منهم فى هـــذه الدنيا بسبب هذا الرفض ، مهما كانت قوتهم ، بحيث يكون افناؤهم مثلا فى التاريخ يعتبر به ، قال تعالى : « **فأهلكنا أشـــد منهم بطشا ومضى مثـــل الأولـــين** »(٢) ، وقال سبحانه :

« **أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبـــة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قـــوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من**

---

(١) سورة الزخرف الآيتان رقم ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الزخرف الآية رقم ٨ .

العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحـــده وكفرنا بمـــا كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم إيمـــانهم لمـــا رأوا بأسنا سنت الله التى قـــد خلت فى عبـــاده وخسر هنـــالك الكافـــرون »(١) .

الهـــدف الثانى : أنه لا يكفى المؤمن بدعوة الحق أن يكون مؤمنا بالحق فقط ، بل عليه أن يسعى لتمهيد السبيل اليه بالدعوة له ، فالمؤمن بالحق يجب أن يكون أقـــوى من الرافض لـــه ، وقوته تكون فى المواجهة والاصرار عى اعلان ايمانه بالدعوة اليه ، وليس فى الهرب من مواجهة المعارضين لـــه .

واذا كان هـــذا هو موقف القرآن الكريم من أمر دعوة الحـــق ، فسياسة الأمة فى الاسلام يجب أن تكون دائما بجانب الحق ، مهمـــا اشتد جانب المعارضين لـــه ، وقوى بطشهم فى المجتمع الدولى .

---

(١) سورة غافر الآيات رقم ٨٢ ـ ٨٥ .

ثانيا : القــائم بأمر الدعــوة

١ ــ الداعى الى الله بشر فضل بالحــق :

لا يجــد الداعى ــ الى الله تعالى ــ الأسوة الحسنة الا من خلال ذات الرســول ــ صلى الله عليــه وسلم ــ ، وكل من تمسك به من الصحابة والتابعين وغيرهم ، ذلك أنهم انتصروا على أنفسهم ، فتمسكوا بدعــوة الحق ، وصاروا بالحق أقــوياء ، قال تعالى :

« محمد رسول الله والذين معــه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعــا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيمــا »(١) .

وقــال ســبحانه :

« إلا تنصروه فقــد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »(٢) .

بهــذا البيان القرآنى نجــد أن : التقرب من الحــق قــوة ، والتمسك به عزة ورفعة ونصرة ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشــد بعضه بعضا ، وامته ــ أى أمة الحــق ــ حــق لها أن تكون خير أمة : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٣)** ، لكن مع كل هــذا نرى الحق ــ سبحانه ــ قــد

---

(١) ســورة الفتح الآية رقم ٢٩ .
(٢) ســورة التــوبة الآية رقم ٤٠ .
(٣) ســورة آل عمران من الآية رقم ١١٠ .

خاطب نبيه الخاتم ــ صلى الله عليــه وسلم ــ كصاحب دعــوة الى الحــق بقــوله : « **قــل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحــد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحــدا** »[1] .

فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو صاحب الدعوة الى الحق ، طلب اليه القرآن الكريم كى يكون واضحا من أول الأمر ان يعلن ويؤكد فيما يعلن أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ انسان وليس بملك ، خصه الله بالوحى المعصوم ، وحفه بالعناية والحفظ ، ومع ذلك فهو لا يعلو فوق مستوى الانسانية ، ولا يخرج عن مقام العبودية لله ــ عز وجل ــ اذ كل ما له هــو أن يتبع فى التبليغ ما يوحى اليه من الله ــ عز وجل ــ فهو مبلغ فقط ، وامين فيما يبلغه من الوحى لا يخرج عنه بحال ، قال تعــالى : « **قــل لا أقــول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقــول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون** »[2] . وذلك حتى لا يصل بمكانه الشريف عند ربه ــ سبحانه ــ الى مقام الألوهية ، فيستحق العبادة مــع الله ــ سبحانه ــ وهــذا ما لا يجوز فى حقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

واذا كانت رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ هى اتباع ما يوحى اليه فى التبليغ والدعوة لــه ، فهو بذلك قــد تجرد عن أى هــدف آخر ، يحمله على الخروج عن رسالته ، واذا حرص على هــذا التجرد يكون قــد تفوق فى مستواه الانسانى ، وأصبح ذا شأن عظيم ، ولكنه مع ذلك لا يخرج عن طبيعة الانسان .

فالانسان انسان يرتفع فى مستوى الانسانية وينخفض فيــه ، وسموه وارتفاعه ذاتى فيه ، يميزه على غيره ــ من الكائنات الأخرى ــ ، بأنه توفرت لــه من الخصائص والصفات ما تؤهله الى نجاحه فى أمر الدعوة أكثر من غيره ، هــذه الصفات تتمثل فى قوة الصبر ، والايمان ،

---

(١) سورة الكهف الآية رقم ١١٠ .
(٢) سورة الأنعام الآية رقم ٥٠ .

والثبات ، وعــدم التردد ، فاذا ما اكتسبها الانسان وتخلق بها ، ارتفع في مستوى انسانيته وفضل بالحق وعرف من خلاله •

٢ ــ صاحب دعوة الحق يتوجه وجهة واحــدة :

ممــا لا شك فيه أن دعوة الحق ليست نداء لمبادىء ، كما أنهــا ليست توضيحا للقيم والمثل التي يقوم عليها الحق ، أو يتكون منها :

وانما هي مجاهــدة نفسية لصاحب الدعوة وترويض لسلوكه كي يستقيم هــذا السلوك ، يقول الله تعالى : « **ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** »(١) ، ويقول الامام البوصيري في ذلك :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمــه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما ... وان هما محضاك النصح فاتهم(٢)

فصاحب الرسالة اذا هيمنت رسالته على قلبــه خضعت غرائزه ودوافعه جميعها لرسالته ، وتوجه بذلك وجهة واحــدة ، فهو وان كان يغضب ويخاف ، ويحب أبنــاءه ، ويجمع المــال ويدخره ويستعلى ويتواضع ، لكنه بعــد هــذه الوجهة صار غضبه في سبيل رسالته ، وخــوفه من اجلها ، وحبه لأبنائه اذا أعانوه على حمل رسالته ، وجمعه المــال لينفقه في سبيل رســالته ، واستعلائه على أعــداء رسالته ، وتواضعه لأصحابها •

وبكلمة واحــدة أصبحت قــوى النفس ودوافعها جميعها جنوداً طيعة خاضعة لقيادة واحــدة ، وهــذا ما يطلق عليه ويسمى بوحــدة النفس وخلوها من التنازع الداخلي ، وسلامتها من انواع التصــدع النفسي(٣) •

---

(١) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ــ ١٠ •

(٢) بردة المديح ــ الامام البوصيري ــ

(٣) أنظر : الشخصية السوية ــ د• سيد عبد الحميد مرسي ص ١٩٢ أسلوب القرآن في علاج النفس •

وفى مثل هـذه الحال يندفع صاحب الرسالة الى غايته أقـوى اندفاع ، لا يعـوقه صراع داخلى ، وبذلك يكون أقوى انسان تعرفه البشرية . فمجاهـدة النفس وخاصية الارتقاء العقلى والروحى خاصية انسانية محضة .

يقول المرحوم سيد قطب : « وخاصية الارتقاء العقلى والروحى ، خاصية انسانية بحتة ، لا يشاركه فيها سائر الأحياء فى هـذه الأرض . وقـد عاصر مولد الانسان الأول اجناس وأنواع شتى من الأحياء ، ولم يقع فى هـذا التاريخ الطويل أن ارتقى نوع أو جنس — ولا أحد افراده — عقليـا او روحيا ، حتى مـع التسليم بوقـوع الارتقـاء العضـوى »(١) .

٢ — الوقوف بجانب المخلص لدعوة الحق :

يقـول الله تعـالى :

« **واصبر نفسك مـع الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهه ولا تعـد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـواه وكان امره فرطا ، وقـل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** »(٢) .

لقـد رسمت هـذه الآيات الكريمـة حـدود الوقـوف بجانب المخلصين لدعوة الحق ، فهى تذكر : ان الوقوف بجانب هؤلاء المخلصين لدعوة الحق لا يقصد منه التودد اليهم فحسب ، أو الوقوف بجانبهم فى حالات اليسر ، وانمـا يعنى احتمال معاشرتهم فى الضيق والفرج ، واحتمال ما عساه أن يكون جارحا للاحساس والشعور ، ذلك أن التعبير بقوله تعالى : « **واصبر نفسك** » يفيد احتمال ما يؤذى الشـعور والاحساس ، وهـذا بلا شك يدخل فيه التودد المشارك فى السراء والضراء ، ذلك لأن هـدفهم وجـه الله — عز وجل — لا غيره ، ومرادهم

---

(١) فى ظلال القرآن — سيد قطب — م/٥ ص ٢٠٢٧ .
(٢) سورة الكهف من الآيتين رقم ٢٨ ، ٢٩ .

مراده ، لا يعرفون أهـل الباطل ولا يميلون اليه : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعـد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقـوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قـد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** »(١) .

وفى الوقت الذى تطالب به هـذه الآيات الكريمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب هـذه الدعوة بالتحمل مـع المخلصين للدعوة فانها تذكره بأمرين :

الأمر الأول : أن صاحب دعوة الحق لم يعـد انسانا ذا مستوى عادي ، فهو بعيد عن زينة الحياة الدنيا وجاهها ، وهنا يقول الله تعالى فى مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** »(٢) يقول ذلك تأكيدا فقط بالنسبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى الوقت نفسه يجعله قاعـدة ملزمة لكل من يتصـدى لدعوة الحق بعـد الرسول ـ صلى الله عيه وسلم ـ ..

الأمر الثانى : أن أصحاب القوة المـادية وهم فى الواقع قلوبهم غلف ، وأسلوبهم فى الحياة أسلوب المتبع لهـواه فى هـذه الحيـاة الدنيا ، فلا يرون الا المـادة أسلوبا لهم فى الحياة .

هـؤلاء يجب عـدم الميـل اليهم وطـاعتهم ، قال تعالى : « **ولا تطـع من أغفلنا قلبـه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**(٣) » ، ذلك لأنهم بضعفهم وقلة نفوذهم يستطيعون الدخول على ضعفاء النفوس من خلال جاههم المـادي ، وصدق الله اذ يقول ناهيا :

« **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ، وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليـل**

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) سورة الكهف من الآية رقم ٢٨ .
(٣) سورة الكهف من الآية رقم ٢٨ .

إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين »(1) .

وهنا يكفى الداعى الى الحـق أن يعلن دائما أمر هـذه الدعوة ، ويقف مجردا من زينة الدنيا ، وبتجرده هـذا يكسبه قـوة ، كما يكسب دعوته قوة فى أنها فوق الاكراه والالزام ، « **وقـل الحـق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(2) .**

٤ ــ صاحب دعوة الحق لا يغفل من يسعى الى الايمان :

لا شك بأن أولوية المودة من صاحب دعوة الحق لا تكون الا لمن يقبل على دعوته ، دون النظر اليه من ناحية الغنى أو الشرف أو الجاه أو الملك ... الخ .

ذلك لأن الايمان بدعوة الحق لا ينزل الناس منازل معينة بسبب ما لهم من متاع فى الدنيا ، وانما التفضيل يكمن فى قوة الايمان ، وضعفه ، وفى شدة الاقبال على تطبيق مبادئه والتكاسل فى هـذا التطبيق ، قال تعالى :

« **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ، قالت الأعراب آمنا قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمـا يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ، إنمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسـوله ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »(3) .**

وقـال سـبحانه :

« **لا يستوى القاعـدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون**

---

(1) سورة هـود الآيات رقم ١١٣ ــ ١١٥ .

(2) سورة الكهف من الآية رقم ٢٩ .

(3) سورة الحجرات الآيات رقم ١٣ ــ ١٥ .

في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهــدين بأموالهم وأنفسهم على القاعــدين درجة وكلا وعــد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعــدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمـــة وكان الله غفــورا رحيمــا »(١) .

فمقياس التفضيل في الاســلام ليس بالحصول على الجاه أو السلطة ... الخ بل في المستوى الانساني والسلوك الحسن ، فلك لأن الايمان بالله لا يتخير الاشراف والوجهاء ، كما لا يتخير الأغنياء دون الفقراء من الناس ، وانما يتخير أصحاب القلوب المؤمنـــة الرحيمة وأصحاب الاستعداد الذين يضحون بأنفسهم وبأموالهم في ســـبيل الايمان بالله ــ عز وجل ــ فباعوا كل مالهم لله ، قال تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعــدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هــو الفــوز العظيم »(٢) .

٥ ــ صاحب دعوة الحق بعيد بدعوته عن الاتجاه المــادي :

ان صاحب الاتجاه المادي يتمثل هــدفه دائما في الحياة الدنيا بما فيها من أموال وبنين وقناطر مقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعــام والحرث . هــذا الجانب المادي المحسوس هــو الذي يشده ويجــذبه ، فتراه لا يحفل بالقيم ولا بالمبـــادىء ، ولا بالعلاقات الطيبة مــع الآخرين ، ولا يعرف الفضل والايثار ، ولا يمتلك النصح والارشاد ، والعمل من أجل سعادة الآخرين . وانما تراه يمعن دائما في الاستجابة لمفاتن هــذه الحياة الدنيا واغرائها ، دون النظر الى ما يترتب على هــذه الاستجابة من ضرر بالآخرين ، هــذا الامعان في الاستجابة للدنيا جعله انسانا جامدا لا يرى في الدنيا الا المحسوس والمرئى منها ، هــذا الانسان يجب الاعراض عنه ، وعدم تذكيره بأمر

---

(١) سورة النساء الآيتان رقم ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) سورة التوبة الآية رقم ١١١ .

الدعوة ، حتى لا يكون فى ذلك اهانة لمبادئها ، وتضييع للزمن والطاقة البشريه بشأنها ، قال تعالى : « **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى** »(١) • لكن قد يأتى اعتراض على هذا الاتجاه ، لماذا وقف القران الكريم هذا الموقف تجاه الانسان المادى ؟ والاجابه :

وقف القران هذا الموقف لانه لا فائدة منه ، فقد أغلق جميع منافذ الاحساس فيه ، ولم يترك واحدا منها يمكن ان يصل الداعى من خلاله ، فهو اذن مثقل بماديات الحياة بحيث اصبحت تحجب كل ما وراءها من قيم ومثل فاضلة •

والقرآن الكريم يذكرنا بالسبب الذى من أجله ينأى صاحب دعوة الحق بدعوته عن اصحاب هذا الاتجاه المادى ، فيقول سبحانه : « **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا** »(١) فهذا أمر من الله — تعالى — بترك هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، ذلك أنه لا يمكن للانسان أن يتخذ دينه لعبا ولهوا الا اذا تمكنت منه المادية ، وصارت موجهة له • فالاستهزاء بالدين واتخاذه لهوا ولعبا امارة واضحة على تمكين المادية فى نفس من يستهزىء أو يلهو بالدين •

فواجب اذن على كل داع الى الحق أن يتجه بدعوته لمن يرى فيه الاستجابة ولو بعد حين ، كما أنه مطالب بمنع عرض دعوته على من لا أمل فيه ، والامارة واضحة فى تعريف كل من النوعين :

ففى النوع الاول هناك اشارات واضحة لمن أعرض عن الدعوة فى بادىء أمره لسبب ما من الاسباب فى نفسه ، هذا النوع يرجى منه أن يقبل الدعوة ولو بعد فترة •

---

(١) سورة النجم الآيتان رقم ٢٩ ، ٣٠ •
(٢) سورة الانعام من الآية رقم ٧٠ •

والنوع الثانى : هــو الذى ملكته هــذه الحياة الدنيا بمفاتنهــا وزينتها ، واصبح لا يرى الا المحسوس منها ، بحيث أغلقت جميع منافذ الاحساس فيه ، فهو قــد سمع بأمر دعوة الحق ، ووعظ من خلالهــا كثيرا ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يؤمن بها ، وآمن بالجانب المــادى المحسوس ، هــذا النوع لا يرجى منه قبول الدعوة .

٦ ــ صاحب دعوة الحــق لا يستسلم للمحن :

اذا تمكنت دعوة الحق من صاحبها ، اوجــدت منه انسانا ثابتا فى حمل رسالته ، لا يتزحزح عن مبدئه ، ولا تحركه العواصف عــن مكانه ، والبرهان الجلى لذلك أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين امره ربه بالجهر بالدعوة لم يغفل عنها طرفة عين ، ولم يلتفت للكسب المــادى الذى عرض عليه من قبل المشركين ، وقال قولته المشهورة : « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هــذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله او أهلك دونه »(١) .

هــذا المعنى ينبثق منه الصبر على الملمــات والثبات فى مواجهة العقبات ، وهــذا شأن القيادة تصبر على المصائب ، وتثبت فى مواجهة الشدائد ، صبرا مقرونا بالأمل والثقة بنصر الله .

لقــد اتحــد كفار قريش فى محاولة اسقاط دعوة الحــق ، وكانت خطتهم فى ذلك التخريب وترويج الاشاعات السيئة المغرضــة التى تحطم العلاقات الانسانية بين الرجال والنساء فى الداخــل ، والقتال يقوم به الأعــداء من الخارج . هــذا التخطيط لو تمكن من امة ونفــذ فيها لأتى بها وزلزلت زلزالا شــديدا . لكن عناية الله ــ عز وجل ــ وحفظه للدعوة أكيد وثابت ومع ذلك وجه نداءه للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قائلا : « **يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**

---

(١) انظر : الرســول وخلفاؤه ــ عبد الله عمر خياط ، موضوع الجهر بالدعــوة » ص ٧١ الى ص ٧٦ .

إن الله كان عليما حكيما ، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »(١) •

هـذه الأمور الثلاثة وهى :

(أ) اتقاء الله ـ عز وجل وخشيته •

(ب) اتباع ما أوحى الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما جاء فى الكتاب والسنة •

(جـ) التوكل على الله ـ عز وجـل ـ وحـده ، فهو كفيل بالمعاونة والمساعـدة •

هـذه الأمور اذا تمسك بها الداعى الى الحق ، وكذلك كل مؤمن عندما يواجه شدة او محنه من شانها ان تزحزحه وتبعـده عن ايمانه بالله ، وعن رسالة الحق فان الله سينصره على عـدوه مهما بلغت قوته وعـدته •

بهـذا اشتد المؤمنون فى ايمانهم بالحق عندما رأوا الأحزاب تحاصر المدينة : « **ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هـذا ما وعـدنا الله ورسوله وصـدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما(٢) •** ولقد كان لهم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة فى ثباته على الايمان ، وفى مواجهه تكتل الأحزاب ضـد الدعوة وكانت نتيجة هـذا الثبات على الايمان بالله ـ عز وجل ـ النصر المبين دون قتال ، وان كانوا قـد تحملوا فى ذلك أضرار الجوع ، والقلق النفسى من الحصار ، قال تعالى :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قـويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهـل الكتاب من صياصيهم وقـذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ،

---

(١) سورة الأحزاب الآيات رقم ١ ـ ٣ •
(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٢٢ •

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا »(١) .

بذلك خرج المسلمون من هذه المحنة القاسية أشد ما يكونون ، واصبح استعدادهم للمواجهة والتحديات الخارجية اوسع مدى وأكثر خبرة ، فقد تعلموا من حفر الخندق الذى أشرف عليه سلمان الفارسى حول المدينة بامر من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كيف يديرون ويتربصون بالعدو ، ولو أنهم اعتمدوا على سند من حلفاء ، او سمعوا قول بعض المنافقين الذين يصيحون بالتشكيك فى وعد الله : **« وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا »(٢)** ، أو سمعوا البعض الآخر الذى ينصح بالتراجع والتخلى عن المدينة : **« وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا »(٣)** ، لكانت الهزيمة واقعة وما تم النصر ، وما قامت لهم بعد ذلك دولة .

لكن بذلك الايمان حفظ الله دعوة الحق ، وحفظ امتها ، ولن تموت ابدا .

٧ — دعوة الحق باقية الى قيام الساعة :

دعوة الحق باقية وخالدة ، فهى لا تفنى ولا تزول بفناء الداعى اليها وزواله ، وانما هى باقية بمبادئها وتوجيهاتها ، ومن التوجيهات التى وجه بها القرآن الكريم الرسول — صلى الله عليه وسلم — نجد من بينها :

أن سبيل الدعوة هو الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن بلا اكراه ولا الزام ، وفى توفير الحرية الفردية لقبولها أو رفضها ، قال تعالى :

---

(١) سورة الاحزاب الآيات رقم ٢٥ — ٢٧ .
(٢) سورة الاحزاب الآية رقم ١٢ .
(٣) سورة الاحزاب الآية رقم ١٣ .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »(١) ، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »(٢) .

كما نجد من بينها أن دعوة الحق لم تكن سلعة أو حرفة ، ولا ينبغى أن تكون كذلك : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد »(٣) ، « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين »(٤) .

ونجد كذلك أن نقد الحق من خصومه لا يستوجب قتال هؤلاء الخصوم : « وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره »(٥) .

ونجد كذلك أيضا وجوب ابعاد دعوة الحق عن شبهة الاستغلال : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا »(٦) .

ثم مع هذا كله نجد أن الداعى الى الحق يجب أن يعلن خطأه فى أسلوب الدعوة أن أخطأ على رءوس الأشهاد : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »(٧) .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٦ .
(٣) سورة سبأ الآية رقم ٤٧ .
(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .
(٥) سورة الأنعام الآيات رقم ٦٦ — ٦٨ .
(٦) سورة النساء الآية رقم ٩٤ .
(٧) سورة التوبة الآية رقم ١١٣ .

بهـذه المبادىء وبغيرها ، صارت دعوة الحـق باقية وخالدة ، لا تفنى ولا تزول بفناء وزوال القائم بأمرها ، وذلك أن الداعي لهـا والقائم بأمرها ـ انسان ـ ، ليست لـه معجزة الخلود يتميز بهـا عن طبيعة الانسان فى مصيره الى الموت بعـد الحياة ، وانما تميزه عن أى انسان آخر سواء فى أنه تتوفر لـه صفات الداعي من :

قـوة الايمـان .
وقـوة الصبر والتحمل .
وحسن القـدوة للمبادىء التى يدعو اليها .

وخلوده خلود ذكرى ، وحياته بعـد موته هى حياة نموذج ومثل ، وليست حياة بدن يأكل ويشرب ويستمر على ذلك . بذلك صار الايمان بدعـوة الحق خالصا غير مشوب بمصلحة ترتبط بشخص الداعي : **«وما محمد إلا رسول قـد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتـل انقلبتم علي أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجـلا من يرد ثواب الدنيا نؤته منهـا ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منهـا وسنجزى الشاكرين ، وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لمـا أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفـر لنـا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »(١) .**

فهـذه الآيات توضح بعض المبادىء التى ينبغى على المؤمنين أن يلتزموا بها فى مجتمعهم ، فهى توضح أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قـد خلت من قبله رسل ، فاذا كان هـذا شأنه فلا ينبغى أن يتغير مجرى الحياة بعـده .

يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده : « فى هـذه الآية ارشاد لنـا ألا نعتمد فى معرفة الحـق والخير على وجود المعلم ، بحيث نتركها بعـد

(١) سورة آل عمران الآيات رقم ١٤٤ ـ ١٤٧ .

ذهابه أو موته ، وانما نعتمد على معرفتهما والتحقق بهما والسير على منهاجهما فى حال وجود المعلم وبعـــده »(١) ٠

كما توضح الآيات أن تحصيل الدنيـــا ومتعها ليس الهـــدف من الرسالة ، والمحافظة عليها ، وانما الرسالة نفسها هى الهـــدف من الحياة الدنيا كلها ٠ وان المتصلين بربهم فى ايمانهم لا تهون عزائمهم ، ولا تضعف نفوسهم ، ولا يستسلمون أبدا فى مواقف الشدة واليأس ، وهذا يظهر من خلال دعائهم ، فلقد كان دعاؤهم أن يغفر الله لهم ما مضى من الذنوب وأن يثبت أقـــدامهم فى سبيل الايمـــان ، وأن يحقق لهم النصر على الأعـــداء ، ولم يكن دعاؤهم أن يعطيهم الله الدنيا ومتعها ، لأن عطاء الله فى الدنيا غير ذى صلة بالايمان والكفر **« كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا »(٢) ، « ولولا أن يكون الناس أمة واحـــدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لمـــا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين »(٣)** ٠

هـــذا وبالله التوفيق ٠٠

د٠ فوزى عبد العظيم رسلان قمر

---

(١) تفسير المنار ــ رشيد رضا ــ جـ ٤ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ٠
(٢) سورة الاسراء الآية رقم ٢٠ ٠
(٣) سورة الزخرف الآيات رقم ٣٢ ــ ٣٥ ٠